الفصل السابع

مجلة أكتوبر.. ٤٠ عامًا من عمر مصر

بلا شك، تمثل أربعة عقود من عمر مجلة «أكتوبر» التى ارتبط اسمها بدار المعارف منذ النصف الثانى من سبعينيات القرن الماضى، فترة عامرة ومزدحمة بجلائل الأعمال والمواقف والتفاصيل، شخصيات ومشاهير ولحظات تاريخية، هى جزء من تاريخ هذا الوطن، فى الوقت الذى كانت فيه أيضا شاهدة عليه وموثقة له. أربعة عقود شهدت فيها المجلة سنوات أمجاد لا تتكرر، كما شهدت فترات نكوص لعبت فيها عوامل عديدة فعلها، لكن التاريخ لا يكذب ولا يتجمل، والتاريخ يقول لنا، عبر شهادات وكتابات ووثائق أصيلة، وشهود عدل، إن هذه المجلة التى تأسست بقرار من الرئيس الراحل أنور السادات فى أواخر شهر أكتوبر سنة ١٩٧٦م، كانت حدثا جللا بكل المقاييس، وكانت إضافة حقيقية ومتميزة

شفيق مترى يطالع أكتوبر الإنجليزية

السادات يقرأ أول عدد لأكتوبر مع أنيس

فى مسيرة الصحافة المصرية، واستطاعت بفضل النخبة المختارة التى قامت على أكتافها هذه المجلة أن تتصدر الساحة الصحفية بامتياز واقتدار واستحقاق لما يزيد على عشرة أعوام متصلة.

يشهد هذا الفصل من تاريخ دار المعارف، ومجلة أكتوبر، تحولا جذريا فى مسيرة المؤسسة الأعرق فى عالم النشر، فبعدما كانت منفردة بنشاطها التنويرى والتثقيفى والمعرفى الكبير، طيلة ما يقرب من خمسة وثمانين عاما، أصبحت دار المعارف رائدة فى مجال النشر الصحفى وإصدار المجلات الصحفية، لتصبح واحدة من أكبر المؤسسات الصحفية القومية فى مصر خلال أربعين عاما، وذلك بعد أن صدر تكليف الرئيس الراحل محمد أنور السادات إلى الكاتب الصحفى الكبير أنيس منصور بإصدار مجلة أكتوبر، على أن يكون رئيسا لتحرير المجلة الوليدة، ورئيسا لمجلس إدارة دار المعارف أيضا. وكان السادات يأمل فى أن يصدر العدد الأول من المجلة فى ١٥ مايو ١٩٧٦م، لكن التجهيزات والتحضيرات اللازمة للمجلة لم تكن اكتملت بعد فى غضون ذلك التاريخ.

صدر العدد الأول من مجلة «أكتوبر» فى ٣١ من أكتوبر سنة ١٩٧٦م، وكانت وقتها درة المجلات العربية والمصرية، وأصبحت عن جدارة واقتدار المجلة السياسية الأولى فى العالم العربى، حيث صدرت بشكل ومضمون ومحتوى وقطع جديد تماما على تجربة إصدار المجلات فى العالم العربى، إذ كانت عين مؤسسها أنيس

منصور تنظر بكثير من الاهتمام والتركيز على تجارب أعرق المجلات فى العالم وأشهرها، وقرر أن يستوحى فى تجربته الجديدة قمة ما وصلت إليه صحافة المجلات والدوريات فى العالم مع الاحتفاظ بطابع خاص وأصيل ونكهة مميزة من صحافة المجلات فى تجربتنا العربية والمصرية خلال ما يقرب من مائة عام.

ويذكر الكاتب الكبير أنيس منصور، فى مناسبات عدة ولقاءات أجريت معه حول تجربته وتاريخه مع مجلة «أكتوبر»، أن فكرة صدور مجلة جديدة فى الشكل والمضمون قد حيرته كثيرا، ولهذا فإنه قد استعرض وقلب فى كل المجلات التى كانت تصدر فى ذلك الوقت بجميع اللغات الحية المشهورة؛ الإيطالية والألمانية والفرنسية والأمريكية، ومنها مجلات «الأيروبى»، «أبوكا»، و«بوردا»، ومجلة «شيترن»، و«دير شبيجل»، و«بارى ماتش»، و«لو بوان»، و«إكسبريس»، و«تايم»، و«نيوزويك»، وتوقف عند أبواب وصفحات وألوان وصور وموضوعات وأغلفة هذه المجلات، وكذلك المجلات العربية، يقول أنيس منصور "وقد استفدت من كل هذه

يوسف السباعى يشارك أنيس منصور وأسرة التحرير "الاحتفال بالعدد الأول"

السادات وأنيس منصور مع أسرة تحرير مجلة أكتوبر

المجلات ولكن لابد أن تكون مجلتنا ذات طابع خاص وجديد ولكنه ليس مختلفا عن الذوق العام للمجلات".

وإذا كان الرئيس الراحل أنور السادات قد أطلق اسم (أكتوبر) على المجلة الوليدة لتخليد ذكرى انتصار أكتوبر العظيم وتحمل اسمه لتبقى فى ضمير كل مصرى دائما، فقد أوكل للكاتب الكبير أنيس منصور رئاسة تحريرها ورئاسة مجلس إدارتها على أن تصدر من دار المعارف أعرق دور النشر المصرية والعربية، وقدم الرئيس السادات كل الدعم لمجلة «أكتوبر» حتى إنه أمدها بمذكراته التى لاقت اهتماما كبيرا فى ذلك الوقت وبأحاديثه التى أدلى بها لأنيس منصور، والذى اتضحت معالم شخصيته الثقافية والمهنية على كل محتويات المجلة من مادة صحفية ذات مستوى عال ومتميز من كتب مترجمة وأبواب متميزة..

كان أنيس منصور نجما حقيقيا من نجوم الصحافة المصرية، وواحد من أنبغ وأنبه الكتاب الصحفيين فى العالم العربى آنذاك، ولم يكن اختيار الرئيس السادات له عشوائيا، ولا «ضربة لازب»، كما يقول التراثيون، ولكنه جاء اختيارا موفقا لعوامل كثيرة ليس أولها أو آخرها أن أنيس منصور لم يكن الصحفى السياسى فقط بل كان المثقف الفنان متعدد المواهب واسع الخبرات، يتمتع بشبكة من العلاقات الإنسانية والمهنية بأعظم وأشهر شخصيات المجتمع، فى السياسة والصحافة والأدب والفكر والفن، وكان أنيس منصور موهوبا وبارعا فى استثمار هذه الميزة بما انعكس بالتأكيد على مجلة أكتوبر وأداءاتها و نجاحاتها المتلاحقة التى تحققت على يديه.

وحمل العدد الأول من «أكتوبر» مفاجآت عدة، وعلى كل المستويات؛ الرئيس السادات فقد كتب افتتاحية العدد، وخص المجلة فى عددها الأول بذكرياته التى نشرت تحت عنوان "ذوبان الجليد بين القاهرة وموسكو"، وفى العدد ذاته حملت الصفحة الأولى تنويها عن انفراد المجلة بنشر الترجمة العربية من مذكرات زوجة عميد الأدب العربى، سوزان طه حسين، بعنوان «معك». وكتب إحسان عبد القدوس محاوراته السياسية الشهيرة "على مقهى فى الشارع السياسى"، وبدأ فى العدد الأول نفسه نشر رواية

نجيب محفوظ الشهيرة «ملحمة الحرافيش» مسلسلة برسوم الفنان الراحل ابن مجلة أكتوبر محمد إبراهيم، وكتب أنيس منصور تقديما موجزا للرواية على صفحات المجلة ووصفها بأنها "خلاصة فلسفة نجيب محفوظ عن الناس والحياة فى مصر".

كانت «أكتوبر» أول مجلة مصرية تصمد للبقاء بعد ١٩٥٢م، حققت نجاحا كاسحا وكبيرا بل مذهلا، وسرعان ما باتت المجلة الأسبوعية الأولى فى مصر والعالم العربى. كانت المجلة إضافة جديدة وناهضة وحيوية للمشهد الصحفى فى مصر، لم يكن يعيبها سوى البنط الصغير الذى طبعت به، وقد تم تلافى هذا العيب فى الأعداد التالية مباشرة.

وفى خلال فترة قياسية وبعد ٦ شهور تقريبا أطلت «أكتوبر» على القارئ العربى بكل ما هو جديد، وفى ذلك الوقت، ولأول مرة، استخدمت «أكتوبر» الجمع التصويرى لجمع حروفها، وكذلك طباعة "الأوفست" التى كانت جديدة فى مصر فى ذلك الوقت، فى طفرة غير مسبوقة وهى الطباعة الأنيقة والنظيفة، وقد لا يعرف الكثير من القراء فضلا عن شباب الأجيال الجديدة من الصحفيين والعاملين فى الإعلام والميديا عموما أن شعار المجلة أو "اللوجو" المميز لها بتصميم كلمة "أكتوبر"، قد تم اختياره من بين ٤٠ محاولة لتصميم هذا الشعار، وقد قام بتصميمه الفنان القدير شريف رضا بحروف هندسية حرة وليس لها علاقة بالخطوط العربية المعروفة.

ويروى الكاتب والناقد القدير، محمود عبد الشكور، فى كتابه «كنت صبيا فى السبعينيات ـ سيرة ثقافية واجتماعية» عن أصداء العدد الأول من المجلة، يقول "لا أنسى أن المجلة دفعت لإذاعة إعلان تليفزيونى تشكر فيه نصف مليون مصرى اشتروا العدد الأول، لا أعرف مدى صحة الرقم، ولكن الناس كانت سعيدة بظهور مجلة جديدة تحمل اسم شهر النصر، لم أكن أعلم ولا أتخيل أننى سأعمل بمصادفة غريبة فى المجلة نفسها التى اشترى أبى عددها الأول".

ولأننى أنتمى إلى جيل التحق بالعمل بالمجلة فى العقد الأول من الألفية الثالثة، ولم أشهد لحظات الميلاد التى سجلت بحروف من نور فى سجل الصحافة المصرية (بطبيعة الحال لم أكن ولدت بعد!)، فإن الرعيل الأول من أبناء المجلة الذين كانوا النواة التى استعان بها أنيس منصور فى تأسيس مجلة «أكتوبر» وخروجها للنور، قد سجلوا شهاداتهم القيمة على تلك اللحظة التاريخية، والمرحلة العامرة الزاهرة ليس فى تاريخ مجلة أكتوبر وحدها بل فى تاريخ الصحافة المصرية والعربية فى عدد تاريخى من مجلة أكتوبر صدر فى نهاية أكتوبر ٢٠١٥م.

سجلت هذه الشهادات والمقالات جوانب حية ومضيئة من تاريخ المجلة، وتاريخ الصحافة فى مصر، وهى أفضل ما كتب عن مجلة أكتوبر وتاريخها ونشأتها وسنواتها الأولى، وما شهدته من نجاحات ساحقة، ولحظات مجد لن تتكرر، وأسماء تألقت على صفحاتها وباتت من نجوم الصحافة والإعلام والأدب خلال نصف القرن الأخير.

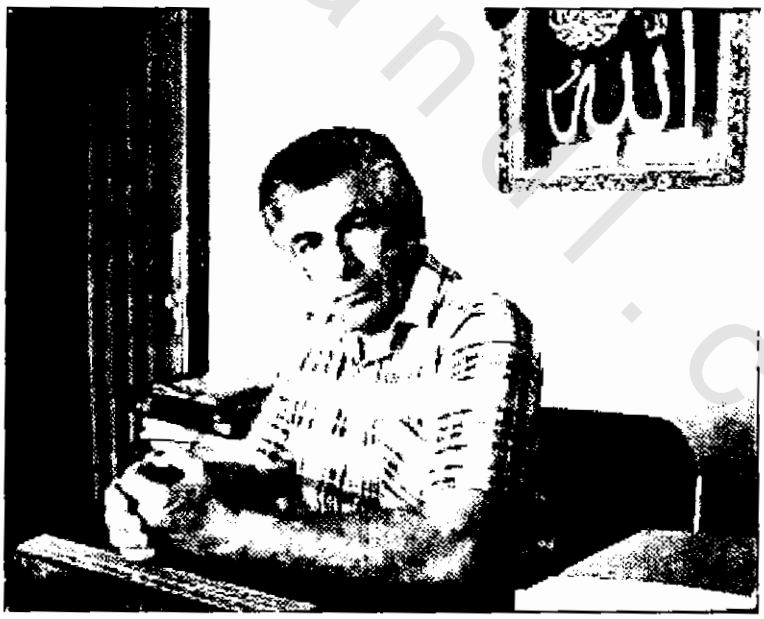

أنيس منصور من مكتبه بمؤسسة دار المعارف ومجلة أكتوبر